ISSN: 3079-062X
مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية
https://alasala.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/aj/index
مجلة الأصالة

إسهامات نقدية لشـــعراء الدولة الأموية

د. محمود رجب الهادي المقطف *
قسم اللغة العربية ، كلية الآداب واللغات - جامعة طرابلس، ليبيا
M3rajb@Gmail.com

تاريخ الاستلام 3/16 / 2026م تاريخ القبول 3 / 5 / 2026م

Critical Contributions of Poets of the Umayyad State

* Dr. Mahmoud Rajab Al-Hadi Al-Muqattaf
Department of Arabic Language, College of Arts and Languages - University of Tripoli, Libya
M3rajb@Gmail.com

Abstract

This study examines the contributions of poets of the Umayyad era to the field of literary criticism, considering them not only as producers of poetry but also as active evaluators and judges of it. The research is divided into two sections. The first explores the features of literary criticism among Umayyad poets by tracing their critical opinions and positions, as reflected in poetic comparisons, rival poetic exchanges (naqāʾiḍ), and aesthetic judgments. The second section addresses the most prominent critical issues discussed by these poets, such as the relationship between wording and meaning, truth and falsehood, poetic plagiarism, and the criteria of artistic quality.

The study reveals that criticism among poets of this era was largely intuitive, grounded in taste and experience, and that it contributed to paving the way for the emergence of systematic literary criticism in later periods. This, in turn, reflects an early critical awareness within the Umayyad poetic milieu.

الملخـــــــــص:

يتنـاول هـذا البحـث إسـهامات شـعراء الدولـة الأمويـة فـي ميـدان النقـد الأدبـي بوصفهم فاعلين ليسوا في إنتاج الشعر فحسب، بل في تقويمه والحكم عليه أيضًـا، وقـد انقسم البحث إلى مبحثين؛ عالج الأول ملامح النقد الأدبي عند شعراء العصر الأمـوي،

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC

من خلال تتبع آرائهم ومواقفهم النقدية التي تجلت في المفاضلات الشعرية، والنقائض، والأحكام الفنية، أما المبحث الثاني فقد تناول أبرز القضايا النقدية التي عرض لها هؤلاء الشعراء، مثل قضية القدم والحداثة، وقضية اللفظ والمعنى، وقضية السرقات الشعرية، ويكشف البحث أن النقد عند شعراء هذا العصر كان نقدًا فطريًا يقوم على الذوق والتجربة، وأسهم في تمهيد الطريق لنشأة النقد المنهجي في العصور اللاحقة، مما يعكس وعيا نقديا مبكرًا داخل البيئة الشعرية الأموية.

الكلمات المفتاحية: شعراء الدولة الأموية، القضايا النقدية، النقد الأدبي، النقائض.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد المصطفى الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين، أما بعد:

فتعد العملية النقدية نشاطًا فكريًا ملازما للإبداع الأدبي، إذ يقوم على تأمل النصوص وتحليلها وتقويمها، ولا تقلّ أهمية عن عملية الإنتاج والكشف عن مواطن القوة والضعف في العمل الأدبي، بما يسهم في الارتقاء به نحو درجات أعلى من الإتقان.

ويُعد العصر الأموي من أبرز المراحل التاريخية التي شهدت ازدهارًا حضاريًا وثقافيًا ملحوظًا، انعكس أثره في تنامي الحركة الأدبية والنقدية على السواء، وقد مثلت جهود النقاد في هذا العصر حلقة مهمة في تطور النقد العربي، إذ كشفت عن جملة من القضايا الفنية والأدبية التي أسهمت في بلورة الوعي النقدي المبكر.

وإذا تتبعنا إسهامات الشعراء النقاد في هذا العصر، تبين لنا تنوع صور النقد لديهم، حيث مارس شعراء بني أمية نوعًا من التقويم الأدبي القائم على الذوق والخبرة، فأصدروا أحكامًا نقدية اتسمت بالدقة والقدرة على التمييز، على الرغم من عدم استنادها إلى أصول منهجية مكتملة كما في العصور اللاحقة.

وفي ضوء ذلك يأتي هذا البحث للكشف عن ملامح الجهد النقدي عند شعراء الدولة الأموية، من خلال استقراء ما تضمنته نصوصهم الشعرية من آراء وأحكام نقدية، بهدف تحديد سمات هذا النشاط وخصائصه، والوقوف على أبرز القضايا التي عالجوها، بما يبرز إسهام الشاعر الأموي في بناء الخطاب النقدي العربي.

وقد حاول الباحث في هذا البحث أن يقتصر على مجموعة من الشعراء النقاد في العصر الأموي، مستقرئًا نماذج مختارة من شعرهم، سعيًا إلى الكشف عن وقفاتهم النقدية، وبيان مدى إسهامها في تشكيل رؤيتهم الفنية، وتجربتهم الشعورية، في إطار وصفي تحليلي يبرز عمق العمل النقدي لدى الشاعر الأموي الناقد دون غيره.

المبحث الأول ـ ملامح النقد الأدبي عند شعراء الدولة الأموية.

اتسعت الثقافة في عصر بني أمية، فشملت الثقافة الإسلامية والعربية، وقد تصدرت حلقات العلم معظم الأمصار والأقطار، واستفاد العرب من معارف الأمم الأخرى، فبدأوا في الترجمة منها للعربية، وأفاد من ذلك كله الشاعر العربي، وازدادت ثقافته في أفكاره ومعانيه، وثقافة فنه الشعري، فقد "اتضحت مناهج الشعر أمام الشاعر الأموي بتأثير الثقافة، وأخذ الشباب يتعلم الأدب والخطابة تعلما، وقد أثر ذلك تأثيرا كبيرا في تطور الشعر الأموي".[1]

الشعر ديوان العرب، فيه أفرغ الشاعر هموم أمته، انتصاراتها وانتكاساتها وآلامها، وقد كان للنقد تاريخه عند العرب، فقد كانت تقام المجالس، وتجرى المناظرات بشأن من هو أشعر من غيره، وكان هذا الجدل يفضي أحيانا إلى الخصام بين الشعراء.

لقد اشتدت عناية الأمويين بالشعر-خلفاء وأمراء وولاة- وعظم تقديرهم للشعراء، وخصوهم بجزيل العطاء وعظيم الصلات، وعقدوا المجالس لإنشاده وسماعه، فتسابق الشعراء على السبق والغلبة، واهتم بنقد الشعر في هذا العصر طوائف كثيرة، متفاوتة الثقافة، متباينة الذوق، مختلفة الأهواء والميل، وكان من بينهم: الخلفاء، والأمراء، والرواة، والنحاة، والأدباء، والشعراء، كل منهم على قدر ذوقه، واختلاف ثقافته، وميله واستعداده.

واهتم النقاد العرب بثقافة الشاعر النقدية، أي أن الشاعر إذا أراد أن يصبح ناقدا أو شاعرا فحلاً لزمه أن يكون ملمًا بجملة من الثقافات، مع الطبع، والذكاء، وحضور الذهن، وسرعة البديهة.

وقد يحتاج الناقد إلى التمرس بالأدب والمخالطة له؛ حتى يصبح بصيرًا بأموره، وأن يكون ذا مقدرة على التفريق بين جيده ورديئه، يقول ابن سلام: "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات"،[2] فالشاعر محتاج إلى مخالطة موضوع صناعته حتى يصبح أهلا للحكم، وكذلك الناقد محتاج إلى معايشة الأدب وكثرة مدارسته؛ لأن ذلك يعينه على العلم بالأدب وتمييز الشعر، "فكثرة المدارسة للشيء تعين على العلم به"[3].

وقد أشار علماء العرب إلى أن الناقد لابد أن يكون حاد القريحة، ذا طبع موهوب، حتى يستطيع أن يبين للناس ما أدركه هو من جمال الأدب، وأن يكون صاحب دراية واسعة بعلوم شتى، وثقافات مختلفة، فثقافة الناقد عند ابن طباطبا

العلوي تعني: "التوسع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الأدب، والمعرفة بأيام الناس، وأنسابهم، ومناقبهم، ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، والتصرف في معانيه، في كل فن قالته العرب"[4].

إن الأديب لا يكون ناقدا إلا إذا عرف طباع الشعر وخفاياه، ذلك أن النقد "موضوع في غاية اللطف، لا يبين إلا إذا كان المتصفح للكلام حساسا، يعرف وحي طبع الشعر، وخفي حركته التي هي كالهمس، وكمسرى النفس في النفس"[5].

وعليه، فإن العلم بالشعر ونقده ليس بالأمر الهين حتى يسهل ادعاؤه؛ بل إنه "بحر لا ساحل له، يحتاج صاحبه إلى تحصيل علوم كثيرة، حتى ينتهي إليه، ويحتوي عليه"[6]. فالشاعر الناقد يمارس ملكتين مختلفتين، وهاتان الملكتان تغترفان من ثقافة الشاعر الأدبية، وتجاربه في العيش والحياة، والشاعر الناقد أكثر دقة، ومعرفة، واطلاعا بخفايا النص الأدبي، وأبصر بمواطن القبح والجمال.

إن الشعراء النقاد هم الذين تفوقوا بموهبتهم النقدية على غيرهم من الشعراء، هذه الموهبة التي استطاعوا من خلالها التمييز بين الغث والسمين، والجيد والرديء، وهي موهبة لا تتوافر في كل شاعر، وهم أقدر الناس على نقد الشعر؛ ذلك أن الشاعر الناقد يعرف من نتاج شعره ما لا يعرف الأديب الناقد، فالشاعر الناقد "ينتقد الشعر من أجل أن يخلق الشعر"[7] ذلك لأن الشاعر " هو وحده الذي يعرف ما هو الشعر"[8].

والناقد الملهم الملم بالصنعة هو الذي خاض غمار الشعر وأبدع فيه، وخبره، ومرّ بتجاربه العسيرة، فالناقد الشاعر يتقدم النقاد في فهم النص "فأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء"[9]، ومن هذا المنطلق وجب أن يكون الشاعر أدرى بنقد الشعر من غيره؛ لأنه هو صاحب التجربة الشعرية، فهو إذًا أدرى بتجربته الشعرية ومعاناته مع غيره.

لقد كانت جماعات النقاد في هذا العصر تتمثل في: الأدباء، والشعراء، والرواة، والخلفاء، والنحاة، وعلى أيديهم أصبح النقد أكثر دقة، وأوفر عمقا، وقد اقتصر هذا البحث الحديث عن النقاد الشعراء دون غيرهم؛ للكشف عن الجهود التي تجشمها الشعراء الأمويون، من خلال أعمالهم النقدية التي تضمنتها نتاجاتهم الشعرية المختلفة، ليتسنى بذلك تحديد عمق العمل النقدي لدى الشاعر الأموي الناقد دون غيره. وقد عني شعراء العصر الأموي بالشعر أيما عناية، فأقبلوا عليه ينقحونه ويهذبونه، ويتنافسون فيه، وينقد بعضهم البعض الآخر، طلبًا للكمال وحبًّا في التجويد، ومن بين

أولئك الشعراء الذين شاركوا في نقد الشعر في العصر الأموي:

1- **جميل بثينة :** هو جميل بن معمر، كان شاعرا فصيحًا، مقدّمًا، جامعًا للشعر والرواية، من عشاق العرب المشهورين من بني عُذرة، وقد غلب عليه اسم الفتاة التي أحبها حتى لُقّب بها، وأكثر شعره في النسيب والغزل والفخر، وأقله في المدح، قال عنه كثيّر عزة: "جميل والله أشعر العرب"[10]. ومن وجوه النقد عند جميل ما يروى عنه حين اجتمع مع عمر بن أبي ربيعة، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها[11].

لقد فــرح الواشون أن صرَمَت حَبْلي بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون مهلا يا جميل وإنني لأقسم مالي عن بثينة من مهل

حتى أتى على آخرها ثم قال: يا أبا الخطاب، هل قلت في هذا الروي شيئا؟ قال: نعم، قال: فأنشدنيه، فأنشده قصيدته التي مطلعها: [12]

جرى ناصح بالود بيني وبينها فقرّبني يوم الحِصاب إلى قتلي

فقال جميل: هيهات يا أبا الخطاب! لا أقول والله مثل هذا سجيس[13] الليالي، والله ما خاطب النساء مخاطبتَك أحد! وقام مشمرا.[14]

نقد جميل هنا وجه من وجوه مشاركة شعراء العصر الأموي في النقد، وإعجاب جميل بشعر عمر بن أبي ربيعة ملحوظ، وهذا يعطي انطباعا أن الشاعر الناقد يحمل همّ القصيدة، وملامح نجاحها وإخفاقها أكثر من غيره. ويظهر كذلك إعجاب جميل بشعر عمر في موضع آخر، حيث يذكر أنهما التقيا فتناشدا، فأنشده عمر قوله[15].

فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل
فقالت وأرخت جانب الستر إنما معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها ما بي لهم من ترقب ولكن سري ليس يحمله مثلي

فصاح جميل: هذا والله ما أرادته الشعراء فأخطأتْه، وتعلّلت بوصف الديار.[16]، فقول جميل هذ "فيه إدراك لما يقدم وصف الديار لشعراء المحاكاة من موضوع يقدح شاعريتهم بعد أن أخطأهم الإلهام الخالص، ويهيئ لهم جوا مناسبا للغناء".[17]

والملاحظ فيما سبق ذكره عن نقد جميل اهتمامه بشعر عمر بن أبي ربيعة، وربما

تكوّن من انطباعاته الشخصية الخاصة، وإعجابه الشديد به، وهو بدوره ما يقودنا للحديث عن شاعر الغزل الصريح الأول في عصره، وواحد من أهم شعراء العصر الأموي، مخلفا أكبر ديوان غزل بين الشعراء، لا في عصره فقط؛ بل في كافة العصور.

2- **عمـــر بن أبي ربيعة :** هو عمر بن أبي ربيعة، شاعر مخزومي قرشي، شبّ على ترف ودلال، وكان وسيما بهيّ الطلعة، لم يكن في قريش أشعر منه، وهو كثير الغزل والنوادر، كان واحدا من الشعراء المجددين الذين أعطوا القصيدة الغزلية ميزات فنية جديدة، فبرع في استخدام الأسلوب القصصي والحوار، وترقيق الأوزان الصالحة للغناء، وهو رقيق المعاني حسن السبك، وكان على قدر من الإعجاب بنفسه، وقد ظهر ذلك في كثير من أشعاره.[18]

لقد كان لعمر بن أبي ربيعة وقفات نقدية في شعراء عصره، ومن نقده أنه لقي الأحوص يوما وقد أقبل من عند عبلة، فقال له: يا أحوص أنشدني ما قلت، فأنشده: [19]

ألا يا عبل قد طال اشتياقي إليك وشفني خوف الفراق
وبتُّ مخامرا أشكو بلائي لما قد غالني ولما ألاقي
كأني من هواك أخو فراش تجلجلُ نفسُـهُ بين التراقي
لأنتِ إلى الفوائد أشد حبا من الصادي إلى الكأس الدهاق

فقال له عمر: ما تركت لي شيئا، ولقد أغرقت في شعرك، قال: كيف أغرقت في شعري وأنت الذي تقول: [20]

إذا خدرت رجلي أبوح بذكرها ليذهب عن رجلي الخدور فيذهب

فقال: الخدور يذهب والعطش لا يذهب.[21]

يتضح مما سبق وكأنه نقد متبادل بين شاعرين كبيرين، ينقد كل منهما الآخر بحسب ما أتيح له من مقدرة فنية، وأن عمر بن أبي ربيعة قد أعجبته أبيات الأحوص، واعترف له بأنه لم يترك له شيئا في الغزل من حيث الألفاظ والمعاني.

3-الأخطل: هو أحد فحول شعراء العصر الأموي، اعترف له بالشاعرية كثير من النقاد والخلفاء والشعراء، وشارك في الحركة النقدية في عصره، وكان الأخطل يهذب شعره، وقد شُبّه شعره بشعر النابغة الذبياني للشبه بين حياتيهما.[22] قال فيه عبدالملك

بن مروان: "إن لكل قوم شاعرا، وإن شاعر بني أمية الأخطل"[23].
سأل جريرا ابنه يوما: يا أبت أأنت أشعر أم الأخطل؟ فقال: يا بني أدركت الأخطل وله ناب، ولو أدركته وله ناب آخر لأكلني. وقال فيه أيضا: الأخطل يجيد نعت الملوك، ويصيب صفة الخمر[24].
والأقوال في الأخطل كثيرة متنوعة، وكلها تدل على منزلته الرفيعة، وشاعريته الكبيرة بين أبناء عصره، وقد كان للأخطل مشاركات نقدية، فهو حين ينظم الشعر يسلط من نفسه رقيبا على نتاجه ونتاج غيره من الشعراء، يقوم معوجه، ويوجه سبيله، ويوضح غامضه. ومن نقده الفني قوله : أخطأ الفرزدق حين قال[25].

أبني غدانة إنني حرّزتكم ووهبتكم لعطيّة بن جِعال
لولا عطية لاجتدعت أنوفكم من بين ألأم أنف وسِبال

فقد اعترض الأخطل على هذا بقوله: "كيف يكون قد وهبهم له وهو قد يهجوهم بمثل هذا الهجاء" [26] فالأخطل يتابع سقطات الفرزدق ويخطئه، وذلك حين اتهم الأخطل الفرزدق بأنه أراد أن يمدحهم فهجاهم ومن نقده أيضا أن كثّير عزة أنشد عبدالملك بن مروان قوله: [27]

فما تركوها عنوة عن مودة ولكن بحد المَشرفيّ استقالها

فقال للأخطل: كيف تسمع! قال: قد هجاك يا أمير المؤمنين، قال: بل حسدته، فقال الأخطل: ما قلتُ لك يا أمير المؤمنين أحسن من هذا، حيث أقول[28].

أهلّوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالي مُلك لا طريفٍ ولا غصب

فجعلتُه لك حقّا، وجعلك اغتصبتَه، قال: صدقت[29].
نرى الأخطل هنا يفضل شعره على شعر كثّير عزة، وذلك عندما حكّمه عبدالملك بن مروان على شعر كثّير، وقد أخذ عبدالملك بشعر الأخطل، وأعجب به بعد إنشاده بقوله: "صدقت"، أي اصبت في اختيار اللفظ الجيد للمعنى القيّم، وهو ما يدل على أن الأخطل كان يتمتع بذوق أدبي سليم، وحاسة نقدية قادرة على تذوق الشعر ونقده.
4- كثيّر عـــزة. هو كثيّر بن عبدالرحمن، من شعراء العصر الأموي المجيدين، من

شعراء المدينة، وكان أمراء بني أمية يعظمونه ويكرمونه، وأخباره مع عزة المضرية كثيرة، وكان عفيفا في حبه، وقد اشتهر بهذا النوع من الغزل العفيف، وأتى فيه بمعانٍ رائعة، وهو كذلك من الشعراء الذين كانت لهم مشاركات في النقد الأدبي، في المجالس الخاصة والعامة، ومن نقده أنه سمع عدي بن الرقاع ينشد قصيدته التي يقول فيها[30]:

وقصيدة قد بتّ أجمع بينها حتى أُقوّم ميلها وسنادها

فقال له كثيّر: لو كنت مطبوعا، أو فصيحا، أو عالما، لم تأت فيها بميل ولا سناد، فتحتاج إلى أن تقومها، ثم أنشد[31]:

نظر المثقب في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه مُنْادها

فقال له كثيّر: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون مستقيمة لا تحتاج إلى ثِقاف أجود لها، ثم أنشد[32]:

وعمِرتُ حتى لست أسأل عالما عن حرف واحدة لكي أدادها

فقال كثيّر: كذبت وربّ البيت الحرام! فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك، وما كنت قطّ أحمق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك[33]. لقد اعتدّ عدي بن الرقاع بنفسه، وظن أنه العالم الوحيد بجميع الأمور ولا يدانيه آخر، وهذه تعد مبالغة من الشاعر واعتدادا قد يكون في غير محله، استهجنهما منه الشاعر الناقد كثيّر. ومن نقد كثيّر أيضا الذي فضّل فيه جميل بن معمر على غيره من الشعراء، فقد رُوي أن كثيّر قال: جميل والله أشعر الناس إذ يقول[34]:

وأخبرتماني أن تيماء منزل لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا

ويقول- أيضا - : هو والله أشعرُ الناس؛ إذ يقول[35]:

وأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي وإن شئت بعد الله أنعمت باليا
وأنت التي ما من صديق ولا عِدًا يرى نِضو ما أبقيت إلا رثى باليا

يتضح من نقد كثيّر لجميل في الموقفين السابقين أنه اكتفى فيه باستحسان الأبيات فقط، دون أن يفصل القول أو يعلل ، ومن نقده كذلك أنه قال يوما لعمر بن أبي ربيعة: إنك لشاعر؛ لولا أنك تشبب بالمرأة، ثم تدعها وتشبب بنفسك، أخبرني عن قولك: [36]

ثم اسْبطرّت تشتد في إثري تسأل أهل الطواف عن عمر

أراك لو وصفت بهذا هرة أهلك ألم تكن قبّحت، وأسأت، وقلت الهُجر؟ إنما توصف الحرة بالحياء، والإباء، والبخل، والامتناع، ألا قلت كما قال الأحوص[37]:

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى إذا لم يُزر لابد أن سيزور
أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور

فقال كثيّر: فانكسرت نخوة عمر بن أبي ربيعة ودخلت الأحوص زهوة[38].

يتضح مما سبق أن كثيّر عزة الشاعر الناقد قد وازن بين: عمر بن أبي ربيعة، والاحوص، وفضّل الأحوص على عمر بن أبي ربيعة؛ لأن العاشق هو الذي يسعى وراء محبوبته، ويجهد نفسه باحثا عنها، لينعم بلقياها، كما فعل الأحوص، أما عمر- على رأي كثيّر- فقد أخطأ المعنى، وصور عشيقته بخلاف الصورة المألوفة في الشعر العربي، فهي من تسعى وراءه، وتسأل عنه أهل الطواف، وفي ذلك ما فيه من النرجسية والاعجاب بالنفس.

ويبدو أن كثيّرا كان من الشعراء المشهورين بالنقد في العصر الأموي، ولذلك كان يُسأل عن أشعر العرب، وكان يفضل شعراء الجاهلية، وذلك عندما قيل له: "من أشعر العرب؟ فقال: امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا شرب"[39].

5- **الفـــــرزدق :** هو أحد الفحول الثلاثة المقدمين في الإسلام، الفرزدق، وجرير، والأخطل، واشتهر بينهم التنافس، واختلف في أيهم أفضل شعرا، فمنهم من فضل الفرزدق لقوة لغته وفخره، وجريرا لسهولة شعره وعذوبته، والأخطل لجودة سبكه. لا خلاف بين النقاد على شاعرية الفرزدق، فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول: لم أرَ بدويا اقام بين الحضر إلا فسد لسانه، غير رؤبة والفرزدق، وهذا جرير يُسأل عن الفرزدق فيقول: أما الفرزدق ففي يده نبعة من الشعر وهو قابض عليها، وقيل له: كيف شعر الفرزدق؟ فقال: كذب من زعم أنه أشعر من الفرزدق، وكان يشبهه بزهير

في الجاهلية[40] ، وكان الفرزدق ممن شارك في الحركة النقدية في عصره، وكانت مشاركة قوية، تدل على الذوق الأدبي السليم، "فقد كان قوي البصيرة في نقد الشعر، وتمييز جيده من رديئه"،[41] ومن مشاركاته هذه أنه أتى المدينة فنزل على الأحوص، فأتاه الأحوص بمغنية تغنيه من شعر جرير[42].

ألا حي الديار بسعد إني أحبُّ لحبّ فاطمة الديارا
أراد الظاعنون ليحزنوني فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

فقال الفرزدق بعد سماعها موجها كلامه للأحوص: ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها! فرد عليه الأحوص: أما تدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله، قال الأحوص: فهو والله جرير يهجوك به، فقال الفرزدق: ويل ابن المراغة! ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأحوجني مع شهواتي إلى رقة شعره[43].

ومما يروى عنه في النقد - أيضا - أنه كان يجالس الشعراء ويعرضون عليه أشعارهم، من ذلك: أن الكميت قال للفرزدق: نفث على لساني فقلت شعرا، وأحببت أن أعرض عليك ما قلت، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره، وسترتَه عليّ، فقال الفرزدق: هات ما قلت، فأنشده: [44].

طربت وما شوقا على البيض أطرب ولا لعبا منّي وذو الشيب يلعب

قال: بلى فإنك في أوان اللعب فالعب، فقال:

ولم يُلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضّب

قال: فما يطربك يا ابن أخي؟ فقال:

ولا أنا ممن يزجر الطير همُه أصاح غراب أم تعرض ثعلب

قال: فما أنت؟ ويحك! وإلى من تسمو! فقال:

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّة أمَرّ سليم القرن أم مَرّ أعضب

قال: أما هذا فقد أحسنت فيه، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخيرِ بني حواء والخيرُ يُطلب

قال: من هم؟ ويحك! فقال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم إلى الله فيما نابني أتقرب

قال: ويحك! من هؤلاء؟ فقال:

بني هاشم رهط النبي فإنني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

قال: لله درّ بني أبيك! أصبت وأحسنت؛ إذا عدلت عن الزعانف والأوابش، إذن لا يصدر سهمك، ولا يكذب قولك، ثم قال له: أظهر أظهر، فأنت والله أشعر من مضى، وأشعر من بقي(45).

إن تفضيل الفرزدق لأبيات الكميت السابقة يعبر عن إعجابه بشاعريته، إعجابا ينطلق من إيمان النقاد بالشعر الأصيل، وصدق بواعثه البعيدة عن دوافع الخوف والرهبة والطمع، وإنما جاءت وصفا فنيا لمشاعر صادقة، ولذا جعله الفرزدق أشعر من مضى ومن بقي من الشعراء.

وكان الفرزدق يُسأل عن أشعر الناس، وهو ما يدل على تعمقه في النقد، وقدرته على التمييز بين شاعر وأخر، من ذلك ما روي أن سائلا سأل الفرزدق يوما: من أشعر الناس يا أبا فراس؟ قال: ذو القروح، يعني امرأ القيس، قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول: (46).

وقاهم جدهم وبنو أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

وهنا يظهر إعجاب الفرزدق بشعر امرئ القيس، وحسن اختياره لألفاظه ومعانيه، مما جعلها مؤثرة في النفس، وبها حكم على امرئ القيس بأنه أشعر الناس، وهذا قدر يوضح للقارئ أن الفرزدق كان يتمتع بذوق أدبي سليم، وحاسة عالية قادرة على تذوق الشعر ونقده.

6- **جـــرير:** هو جرير بن عطية الخطفي، فحل من فحول شعراء الإسلام، وكان من أشعر أهل عصره، مدح بني أمية، ولازم الحجاج ردحا من الزمن، وصلت أخباره

وأشعاره الآفاق وهو لا يزال حيا، واشتغلت مصنفات الأدب والنقد به، وقد اقترن ذكره بالفرزدق والأخطل. وشاعت الأخبار في شعر جرير وسيرته في الناس، وشاعت الأخبار التي تُنزل جريرا منزلة الناقد في تقدير مراتب الشعراء والحكم بينهم، وشُبهت منزلته من شعراء الإسلام بمنزلة الأعشى من شعراء الجاهلية،[47] ومن نقد جرير تتبعه لشعر شعراء عصره، من ذلك ما يروى أن عمر بن لجأ[48] كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبله، وجرير حاضر، فقال فيها: [49]

قد وردت قبل إنا ضحائها
تُفرّسُ الحيات في خِرشائها
جرّ العجوز الثني من ردائها

فقال جرير: أخفقت، فقال: كيف أقول، قال تقول: جرّ العروس ...

يتضح من خلال حكم جرير على شعر عمر بن لجأ أنه أدرك بحسه الأدبي موقع الضعف الموجود في البيت، والضعف هنا يتعلق بموقع الألفاظ، وهذا دليل على قدرة جرير بمواقع الألفاظ، وقدرته على النقد، ومثل هذا أيضا ما انتقد به جرير ذا الرمة، وذلك عندما قال جرير: قاتل الله ذا الرمة حيث يقول: [50]

ومنتزعٍ من بين نِسْعَيه جِرّة نشيج الشجا جاءت إلى ضرسه نزرا

أما والله لو قال: "من بين جنبيه" ما كان عليه من سبيل. [51]

ومن نقده كذلك رأيه الذي أصدره على صاحبيه -الفرزدق والأخطل- من بين آراء متعددة له في النقد، وذلك عندما سئل عنهما فقال: الأخطل ما باح بما في صدره من الشعر حتى مات، والفرزدق بيده نبعة الشعر قابضا عليها[52].

7- ذو الرّمّـــــة: هو غيلان بن عقبة، شاعر من شعراء العصر الأموي، من فحول الطبقة الثانية في عصره، كان أكثر شعره تشبيبا وبكاء أطلال، وهو أحد عشاق العرب المشهورين، أما شاعريته فقد اعترف بها كثير من النقاد والشعراء واللغويين، يروى أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول: "إن الشعر فتح بامرئ القيس، وختم بذي الرمة"[53]. ومن مكانة ذي الرمة الكبيرة اعتراف الفرزدق بشاعريته أمام الوليد بن عبدالملك، فمن ذلك ما يروى أن "الفرزدق دخل على الوليد بن عبدالملك فقال له: من أشعر الناس؟ قال: أنا، قال: أتعلم أحدا أشعر منك؟ قال: لا، إلا أن غلاما من بني عدي

يركب أعجاز الإبل، وينعت الفلوات"[54] يعني ذا الرمة. ولذى الرمة وقفات نقدية وخاصة مع شعراء عصره، فمن نقده ما يروى أنه قدم الكوفة فلقيه الكميت، فقال له: إني قد عارضتك بقصيدتك، قال: أي القصائد؟ قال: قولك: [55]

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلي مفريّةٍ سَرِب

قال: فأي شيء قلتَ؟ قال: قلت: [56]

هل أنت عن طلب الإيفاع منقلب أم هل يُحسن من ذي الشيبة اللعب

حتى أتي عليها، فقال له ذو الرمة: ما أحسن ما قلت، إلا أنك إذا شبهت الشيء ليس تجيء به جيدا كما ينبغي، ولكنك تقع قريبا، فلا يقدر إنسان أن يقول إنك أخطأت ولا أصبت؛ تقع بين ذلك، ولم تصف كما وصفت أنا ولا كما شبهت، قال: وتدري لم ذاك؟ قال: لا، قال: لأنك تشبه شيئا قد رأيته بعينك، وأنا أشبه ما وُصف لي ولم أره بعيني، قال: صدقت، هو ذاك[57]. ومما يروى له في النقد أيضا أنه سُأل: من أحسن الناس وصفا للمطر؟ فذكروا عبيد بن الأبرص: [58].

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح
فمن بنجوته كمن بمحفله والمستكن كمن يمشي بقرواح
فقال ذو الرمة: بل قول امرئ القيس أجود حيث يقول: [59]
دِيمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرّى وتدر
تُخرجُ الود إذا ما أشجدت وتواريه إذا ما تشتكر

لقد أسهم ذو الرمة بنصيب كبير في حركة النقد، شأنه في ذلك شأن شعراء العصر الأموي، فهم لم يكونوا أقل شأنا أو أدنى موهبة في نقد الشعر من النقاد، والأدباء، والكتاب، الذين شاركوا في حركة النقد في عصرهم، وأسهموا في رفع مستوى الشعر.

إن الدعوة إلى التجديد والبحث عن المثال المطلق في الأدب لا تأتي من النقاد فقط، والأمر لا يقتصر عليهم في تذوق الشعر والحكم عليه، وإن نصيب الشعراء النقاد من ذلك ليس بقليل، فالأمر إليهم وبين أيديهم، فهم الذين يبدعون وينظمون وينقدون فيجددون.

المبحث الثاني ـ القضايا النقدية التي تعرض لها شعراء الدولة الأموية:

الشعر تاريخ الأمة في مراحل تطورها الإنساني المختلف، والشعر الجيد في نظر النقاد هو الذي يمس الحس ويؤثر في العواطف، وهو الذي يستمد حياته من كلام الناس، وبالتالي فهو يمنح هذا الكلام نوعا من الحيوية، فالشعر يمثل درجات الوعي في الكلام، والشاعر المبدع هو الذي يتخير ألفاظا موحية لها أثرها في النفس.

لقد تعمق الشعراء النقاد في العصر الأموي في فهم الشعر وتذوقه، وفي معرفة مميزات الشعراء، ووقفوا على ما لكل شاعر من خصائص ومميزات، وبخاصة كبار الشعراء، وفي القضايا التي أشغلوا بهم أنفسهم، ودارت حولها الحوارات والنقاشات والآراء، ومن هذه القضايا التي شغلت بال الشعراء النقاد في ذلك العصر ما يلي:

1ـ قضية القدم والحداثة :

هي من القضايا النقدية التي شغلت بال الدارسين في كل عصر، قديما وحديثا، ولم يخل منها عصر أدبي في حياة الأمم التي كان لها نصيب من الأدب، ولا ظهرت هذه القضية في عصر من العصور إلا أحدثت خلافا عظيما وجدلا واسعا.

والخلاف بين القديم والحديث أصل من أصول الحياة، يشتد الصراع بين أولئك وهؤلاء حتى ينتصر الجديد، فيصبح الجديد قديمًا، ويظهر جديد آخر يجاريه[60].

وقد تعددت وجهات نظر النقاد في هذه القضية تبعًا لاختلاف ركائزهم الفطرية، واستعدادهم الذهني، وتأثرهم بالثقافات المختلفة، فهناك المحافظون، والمجددون، والمعتدلون، ولذلك ظهر مَن تعصب للقديم وطالب المحدثين بالتقيد بطريقة القدماء، وبأسلوب تفكيرهم وتعبيرهم، بالرغم من بُعد الزمن، وتفاوت الحضارة، وعمق التطور. [61]

ومن هؤلاء الذين وقفوا يهاجمون كل محدث وإن بان فضله، وظهرت قوته وروعته، أبو العلاء، والأصمعي، وابن الأعرابي، وغيرهم من اللغويين الذين جعلوا الشعر القديم منبرًا ونبراسًا يهتدى به؛ فهو منبع الأصالة، ومصدر الإبداع، ونقطة انطلاق للحداثة. ويصور القاضي الجرجاني رأي هؤلاء فيقول: "فإنك ترى وتسمع من حفاظ اللغة ومن جِلة الرواة مَن يلهج بعيب المتأخرين، فإن أحدهم يُنشد البيت ويستحسنه ويستجيده، ويعجب منه ويختاره، فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه، ونقض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهون مرارة من تسليم فضيلة لمُحدث، والإقرار بالإحسان إلى مولّد".[62] ، ويعتذر ابن رشيق عنهم بقوله: "وليس ذلك لشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون"[63]

وقال غيره: "إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي نواس وغيره مثل الريحان يُشم يوما ويذوي فيرمى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا"[64] وعليه فإن أغلب شواهد النحو العربي من الشعر القديم ، وجاء المتأخرون بعد ذلك فكانوا أكثر اعتدالا في نظرتهم إلى القدماء والمحدثين؛ حيث رأوا أن لكل من القديم والمحدث مميزات لا تنكر، فقد ذكروا أن " القدماء والمحدثين كمثل رجلين، ابتدأ هذا بناء فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن".[65]

فالقديم له فضل البناء والتشييد والإنشاء، والحدث له فضل التزيين والتجميل، وبهما يكمل النص الشعري، والعمل الأدبي، وهذا ما عبروا عنه بقولهم: "إن الأولين قد نهجوا الطريق، ونصبوا الأعلام للمتأخرين"،[66] فالقديم وحده لا حياة له، إنما يستمد حياته وقوته من الثقافة الحديثة، والحديث وحده لا وجود له، فهو يرتكز على القديم ويتغذى منه.

وهناك من ينظر إلى الشعر نظرة فنية خالصة، لا تهتم بالعصر، وإنما تُعنى بمدى تحقق الجودة والحسن في النص الأدبي، يقول ابن قتيبة: "ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره؛ بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلاً حظه، ووقرت عليه حقه".[67]

فاستحسان الشعر وتفضيله قائم على أساس الجودة الفنية، دون النظر إلى زمان الشاعر أو أصله، ودون محاسبته على العصر الذي عاش فيه، ولا يفضل القديم لقدم عهده، ولا الحديث لحداثته، وإنما الجودة هي المعيار في الحكم، "فالفضل والنقص موزعان بين المتقدمين والمتأخرين"[68].

وعند تحقق سيادة الدولة الأموية بلغ الشعر مرحلة جديدة لا يستهان بها من الخصب والازدهار، وإن لم يقو الخلق الجديد من الشعراء على مجاراة الجاهلية في قوة اللغة، وتحليق البديهة في الآفاق البعيدة، فإذا كانوا قد سلكوا في قوالب قصيدهم مذاهب القدماء، فإنهم قد تخلوا في الوقت نفسه عن كل لون من الأصالة، وبالرغم من ذلك فالشعر الأموي له امتداد في الماضي، وهو يعبر عن الحياة العربية في فترة ما قبل الإسلام خير تعبير.

إن قضية القدم والحداثة لها صلة قوية بالتقليد والاحتذاء، والتطور والتجديد؛ ذلك أم هناك كثيرا من الشعراء الأمويين مقلدون لشعراء قبلهم، وآخرين معاصرين لهم، فقد حُكي عن بشار بن برد أنه قال: ما قرّ بي القرار مذ سمعت قول امرئ القيس: [69]

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي**

حتى صنعت: (70)

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه**

ومثله قول ذي الرمة في صفه الليل: (71)

وليل كأثناء الرّويزي جُبتُه * بأربعة والشخص في العين واحد**

هو من قول امرئ القيس: (72)

وليل كموج البحر أرخى سدوله * عليّ بأنواع الهموم ليبتلي**

وقد تتبع النقاد تأثر الأخطل بالشعر الجاهلي، وكان تأثر الأخطل يقع في مقدمات القصائد في أكثر الأحيان، ومن ذلك قوله: (73)

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله وعاد له من حب أروى أخابله

حيث يلاحظ القارئ مدى التقارب لفظا، ووزنا، ومعنى، وقافية، بين بيت الأخطل هذا وبيت زهير بن أبي سلمى، الذي يقول: (74)

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعُرّي أفراس الصبا ورواحله

ومن قصيدته اللامية التي قالها في الهجاء: (75)

بانت سعاد ففي العينين ملمول من حبها فصحيح الجسم مخبول

فتأثر الأخطل هنا واضح ظاهر في هذا البيت بمطلع كعب بن زهير في قصيدته المشهورة بانت سعاد "البردة"، إذ هناك اتفاق كبير بينهما، من حيث الوزن، والقافية، وحتى في الغرض، والألفاظ، وهذا التشابه والتقارب بين الأخطل ومذهب الجاهليين هو الذي دفع أبا عمرو بن العلاء أن يقول: "لو أدرك الأخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا"(76).

فالقديم وإن وصف بالأصالة والرزانة لا يحقق القيمة الفنية وحده، لفقدان العنصر الثاني وهو الحديث، والمحدث وإن وصف بالرقة والرشاقة لا يحقق

القيمة الفنية وحده، لغياب القدم والأصالة، أي أن كل واحد منهما مكمل للآخر.

2-قضية السرقات الشعرية.

تعد قضية السرقات الشعرية إحدى القضايا المهمة من قضايا النقد العربي، وقد وقف النقاد العرب أمام هذه القضية موقف التدقيق والتمحيص، وذلك لمعرفة السارق من المسروق منه.

وقد كان الجاحظ أحد أولئك النقاد الذين تعرضوا إلى تحليل هذه الظاهرة، وأشاروا إلى أسباب ذيوعها بين الشعراء، فقال: "ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو شريف كريم، أو بديع مخترع، إلا وكل من جاء من الشعراء بعده أو معه، إن هو لم يعدُ على لفظه فيسرق بعضه، أو يدعيه بأسره، فإنه لا يدع أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكا فيه".[77]

فالجاحظ يرى أن لابد للاحق من التأثر بالسابق، فيسرق ألفاظه، أو يغير على شعره فيدعيه، وقد يكتفي بالاستعانة بمعناه، والاشتراك معه فيه، بعد قلبه، أو الزيادة عليه ومن ذلك ما ادعاه جرير على الفرزدق من السرقة حين قال: [78]

ستعلم من يصير أبوه قينا * ومن عُرفت قصائده اجتلابا**

وكذا ادعى الفرزدق مثل ذلك على جرير حين قال: [79]

إن استراقك يا جرير قصائدي مثل ادعاء سوى أبيك تنقّل

وعَدّ بعضهم السرقة من الضروب الفنية الأدبية، وجعلها مجال الحذق والمهارة، وأنه لا يستطيعها كل أديب، وكذلك لا يدرك هذه السرقة إلا أصحاب العقول البصيرة، والعيون الناقدة، وفي هذا الشأن يقول أحد النقاد العرب: "وهذا باب لا ينهض به إلا الناقد البصير، والعالم المبرز، وليس كل من تعرض له أدركه، ولا كل من أدركه استوفاه واستكمله"،[80] فليس من السهل أن ينهض بمهمة تحديد السرقات الشعرية، وتتبعها، وتوضيحها، غير أولئك النقاد الذين مارسوا الأدب، وقرأوا قديمه وحديثه، وحفظوا من الشعر ما يعينهم على ذلك.

ومن الشعراء من يرى أن السرقة اجتماع اللفظ والمعنى معا، وهذه سرقات لا قيمة لها في ميدان النقد؛ لأنها مكشوفة ظاهرة، لا ستر فيها ولا إخفاء، أما النوع

الآخر فهو ما يحتاج معه صاحبه إلى حيلة قوية، وذكاء في أخذ الفكرة، لذلك قيل: "ويحتاج من سلك هذا السبيل إلى ألطاف الحيلة، وتدقيق النظر في تناول المعاني، واستعارتها، وتلبيسها، حتى تختفي على نقادها والبصراء بها".[81]

يتضح من خلال ذلك أن السرقة الخفية المحمودة جائزة في نظره؛ لأنه ألبس الفكرة والأسلوب ثوبا جديدا، وهو عمل شاق وصعب، يحتاج معه صاحبه إلى مران طويل، وبحث كثير، وقراءة جادة، فالشاعر لا يكون حاذقا إلا إذا كان قادرا على إخفاء السرقة، "فإن غيّر بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه".[82]

لقد كان ميدان السرقات في تلك الحقبة "يمثل لبّ الدراسات النقدية، فقد كانت هي الباب الذي تنفذ منه أغلب القضايا النقدية، وهي التي مهدت بطبيعتها إلى النقد التحليلي، وإلى الموازنة والمقارنة بين الشعراء".[83]

وللسرقات الشعرية أنواع كثيرة، منها على سبيل المثال: النسخ، وهو أخذ اللفظ والمعنى برمته دون الزيادة عليه، ومن ذلك قول الفرزدق: [84]

أتعدل أحسابا لئاما أدقّة * بأحسابنا إني إلى الله راجع**

فأخذ جرير هذا البيت، ونسخه نسخا كاملا، حيث يقول: [85]

أتعدل أحسابا كراما حماتها بأحسابكم إني إلى الله راجع

ومن السرقات الشعرية كذلك الغصب، وهو أخذ الشيء ظلما، ولقد أكثر الفرزدق من هذا النوع، فمن ذلك عندما قال ذو الرمة بحضرة الفرزدق: لقد قلتُ أبياتا، إن لها لعروضا، وإن لها لمرادا، ومعنى بعيدا، قال: وما قلت؟ فقال: قلت: [86]

أحين أعادت تميم بي نساءها وجُرّدت تجريد الحسام من الغمد
ومدّت بضبعي الرّباب ومالك وعمرو ومالت من ورائي بنو سعد
ومن آل يربوع زهاء كأنه دجى الليل محمود النكاية والرقد

فقال له الفرزدق: إياك وإياها لا تعودن إليها، وأنا أحق بها منك، قال: والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبدا إلا لك،[87] فأخذ الفرزدق هذه الابيات كاملة دون أن يغير فيها، وقد انفرد الفرزدق بأخذ بعض الأبيات عنوة من أصحابها.

ومـن السـرقات الشـعرية كـذلك مـا يسـمى المرادفـة، وهـو أن يعـين الشـاعر صـاحبه بالأبيات يهبها له، أو يقدمها عونـا لـه عنـدما تخونـه الـذاكرة، أو يعجـز عـن اسـتكمال البيت،[88] من ذلك ما ورد لدى ذي الرمة في قوله: [89]

نبت عيناك عن طلل بحزوى * عفته الريح وامتنح القطارا**

فقال له جرير بعد أن سمعه: ألا أعينك؟ قال: بلى بأبي وأمي! قال: قل له: [90]

يعد الناسبون إلى تميم * بيوت العز أربعة كبارا**
يعدون الرباب لها وعمرا * وسعدا ثم حنظلة الخيارا**
ويهلك بينها المرئيُّ لغوا * كما ألغيت في الدية الحُوارا**

إلى غير ذلك من أنواع السرقات الشعرية، وهي كثيرة عنـد شـعراء العصـر الأمـوي، وقد درس قضية السرقات كثير من النقاد، وكان هدفهم معرفة السـارق مـن المسـروق منه، والأصيل من المنتزع، والقديم من المحدث، ومحاولة نسـبة الشـعر إلـى أصـحابه المروي عنهم.

3ـقضية اللفظ والمعنى.

وهذه القضية تناولها النقد الأدبي تحت عدة عنـاوين، منهـا: اللفظ والمعنـى، والإطـار والمضمون، والمادة والصورة، وهي في حقيقتهـا أكبـر القضـايا النقديـة؛ لأنهـا تعـالج أساس البناء في الفن الأدبي؛ بـل هـي قاعـدة البنـاء فـي كـل شـكل مـن أشـكال التعبيـر اللغوي مهما يكن موضوعه، ومهما يكن غرضه ومقصده، وترجع أهمية هذه القضـية إلى أنها محور الدراسات الأدبية، فلا يكاد يخلو منها لـون مـن ألـوان الـدرس الأدبـي، لذلك كانـت هـذه القضـية مـن أقـد القضـايا النقديـة التـي عـرض لهـا النقـد الأدبـي فـي الإنسانية كلها. [91]

لقد اختلفت آراء العلماء حول هذه القضية، وتباينت وجهات نظرهم تبعا لميـولهم الفكرية وركائزهم الفطرية، يقول الجاحظ: "والمعاني مطروحة في الطريـق، يعرفهـا العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنمـا الشـأن فـي إقامـة الـوزن، وتخيـر اللفـظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع، وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضـرب من النسيج، وجنس من التصوير".[92]

ثم جاء ابن رشيق فنظر إلى اللفظ والمعنى كشيء واحد في الترابط، حيث يقول:

"اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه،

ويقوى بقوته".[93]

ولقد كان الجاحظ من أشهر من اعتنى باللفظ، ووضع له شروطا، حيث يقول: "ألا يكون عاميا، ولا ساقطا سوقيا، ولا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا، إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا ... وإياك والتوعر فإنه يسلمك إلى التعقيد، ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما".[94]

يفهم مما تقدم أنه لا تفاضل بين الألفاظ والمعاني عند الجاحظ؛ بل يجب صونهما عما يفسدهما، فكلاهما يصنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة؛ لأنهما ركنا الأدب، وعنصرا الشعر، والهدف الفني لا يتحقق إلا بانسجامهما معا.

إن العصر الأموي عصر تجديد ظاهر في اللفظ والمعنى، ولقد طلب الشعراء في هذا العصر التجديد لا في الفظ وحده ولا في المعنى وحده؛ بل في الإثنين معا، وفي الموضوع أيضا.[95]

فلم يكن الشعراء الأمويون ليهملوا أيًّا من العنصرين أو الركنين؛ بل كانوا مهتمين بالشكل والمضمون، فهذا الاحوص مثلا: "ينتقي الفظ الكريم الذي يقري الأذن، ويملأ الفم، ويرسم الجو المناسب الذي أراده الشاعر، ومثل هذه الصلابة الشعرية والفخامة اللفظية تطبع القسم الأكبر من شعره"،[96] يقول في الفخر مثلا: [97]

ما من مصيبة نكبة أُمنى بها إلا تُعظمني وترفع شاني
وتزول حين تزول عن متخمط تُخشى بوادره على الأقران
إني إذا خفي اللئام رأيتني كالشمس لا تخفى بكل مكان

فقد كان الأحوص حلو اللفظ، قوي الأسلوب رصينه، يبلغ الإجادة اللفظية في غير تكلف ولا مشقة، ولم يكن يُعنى بالمعنى ويستخف بالألفاظ، وإنما كان حريصا على التجويد في لفظه ومعان جميعا.

وتحدّث النقاد كثيرًا عن شعراء الدولة الأموية وحسن تخيرهم لمعانيهم وألفاظهم، والبحث عن المعنى الجيد للفظ المناسب له، يقول محمد منذور: "وإذا أردت أن تعرف مواقع اللفظ الرشيق في القلب، وعظم غنائه في تحسين الشعر، فتصفح شعر جرير وذي الرمة في القدماء، والبحتري في المتأخرين، وتتبع نسيب متيمي العرب، ومتغزلي أهل الحجاز، كعمر وكثيّر وجميل ونصيب وأضرابهم، وقسهم بمن هو أجود منهم شعرا، وأحسن لفظا وسبكا".[98] ، ومن أمثلة ذلك في عذوبة الألفاظ، وسهولة المعاني، ما يظهر فبي شعر الفرزدق، حيث يقول: [99]

والشيب ينهض في السواد كأنه ليل يصيح بجانبيه نهار

فقول الفرزدق هذا "أوضح معنى، وأعذب لفظا، وأقرب مأخذا".[100] ، إلى جانب هذا فقد كان بشار بن برد قد تميز عن معاصريه ومن تقدمه قليلا أمثال: رؤبة، وذي الرمة، والفرزدق وجرير، لم تجد في شعرهم ما تجد في شعر بشار، من دقة في المعاني، ولا دقة في الألفاظ ، فالألفاظ المختارة، والعبارات الرشيقة، ما يجعل العمل الأدبي محببا إلى النفس، وأجرى على اللسان، ومصداقا لذلك أن بشار بن برد لما قال: [101]

من راقب الناس لن يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

تبعه سلم الخاسر فقال:

من راقب الناس مات غمّا وفاز باللذة الجسور

فلما سمعه بشار قال: ذهب ابن الفاعلة ببيتي! وفي هذه الكلمة التي قالها بشار رد على أولئك المغالين في نصرة المعنى، والذين لا يقدرون اللفظ والعبارة حق قدرها، فإن أمامنا اعترافا صريحا بأثر العبارة في بقاء المعنى وخلوده. [102]

لقد ابتعد شعراء هذا العصر عن الألفاظ الحوشية الغامضة، ومالوا إلى الألفاظ السهلة السلسة اللينة، التي لا يجد اللسان صعوبة في نطقها؛ بسبب تناسب مخارجها، مما يسهل على السامع الوصول إلى المعنى المراد من اللفظ بأيسر الطرق وأسهلها، وقد كان لأساليب القرآن الكريم وبلاغة النبي صلى الله عليه وسلم أثر في ترقيق ألفاظهم وسلاسة تدفقها.

إن العلاقة بين اللفظ والمعنى كالعلاقة بين الجسد والروح، لا وجود لهذا دون ذاك، فإذا فُصل أحدهما عن الآخر فسدت الصورة وتغير المعنى، ذلك أن الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، فإذا قدمت منها مؤخرا، أو أخرت مقدما، أفسدت الصورة، وغيرت المعنى.

الخاتمـــــة:

في ختام هذا البحث، يتبين أن شعراء الدولة الأموية لم يكونوا مجرد مبدعين في قول الشعر، بل أسهموا إسهامًا واضحًا في تشكيل ملامح الوعي النقدي العربي المبكر، من خلال ما قدَّموه من آراء وأحكام نقدية تضمنتها نصوصهم الشعرية

ومواقفهم الأدبية، وقد كشف البحث عن أن النشاط النقدي في هذا العصر جاء امتدادًا لما سبقه، غير أنه اتخذ طابعًا أكثر نضجًا واتساعًا، متأثرًا بالتحولات الثقافية والاجتماعية التي شهدها العصر الأموي.

كما أظهر البحث أن النقد عند الشعراء اتسم في معظمه بالطابع الذوقي والانطباعي، مع بروز محاولات للتعليل والتفسير، خاصة في سياقات المفاضلة والنقائض والردود الشعرية، وقد تناول الشعراء جملة من القضايا النقدية المهمة، كجودة اللفظ، وعمق المعنى، والصدق الفني، وقضية السرقات الشعرية، مما يدل على وعي نقدي يسعى إلى تقويم الإبداع وتوجيهه.

وبناء على ذلك، يمكن القول إن إسهامات شعراء العصر الأموي شكلت مرحلة تمهيدية مهمة في مسار تطور النقد الأدبي العربي، وأسهمت في وضع اللبنات الأولى لظهور النقد المنهجي في العصور اللاحقة. ومن النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي.

ـ تطورت الحركة النقدية في العصر الأموي مع امتداد جذورها السابقة واتساع مجالاتها.

ـ اتسم نقد الشعراء بوعي نسبي وقدرة على تمييز الجيد من الرديء في النصوص الشعرية، فقد تمكن من إدراك مواطن الجمال والقصور في النصوص، وهو ما منح أحكامه قدرًا من القبول داخل الوسط الأدبي.

ـ اعتمد الشاعر الناقد على الذوق والخبرة، مع محاولات أولية للتعليل، حيث سعى الشعراء إلى تبرير أحكامهم وإسنادها إلى معايير فنية، وإن لم ترتقِ هذه المحاولات إلى مستوى المنهج النقدي المتكامل.

ـ أسهمت النقائض والمفاضلات في تنشيط الممارسة النقدية وتطويرها، إذ شكلت ميدانًا حيًّا للمفاضلة والموازنة، وأتاحت للشعراء فرصة إبراز قدراتهم النقدية من خلال الردود والتعقيبات، مما أسهم في صقل الذائقة الأدبية وتوجيهها.

ـ برزت قضايا نقدية مهمة، مثل: القدم والحداثة، واللفظ والمعنى، والسرقات الشعرية، فضلاً عن المفاضلة بين الشعراء، وهي قضايا تعكس وعيًا نقديا متناميًا بمحاور العمل الأدبي.

ـ شكلت هذه الجهود نواة أولى لظهور النقد المنهجي في العصور اللاحقة.

ـ أسهم الشعراء النقاد في العصر الأموي بنصيب كبير في حركة النقد، فقد كانوا على درجة عالية من العلم والموهبة في نقد الشعر، محاولين المشاركة في حركة النقد والرفع بمستوى الشعر.

ـ إن تذوق الشعر والحكم عليه لا يقتصر على النقاد، والدعوة إلى التجديد لا تأتي منهم فقط؛ بل للشعراء نصيب من ذلك، فهم الذين يبدعون وينظمون وينقدون فيجددون.

ـ ارتبطت قضية القدم والحداثة بقضية السرقات الشعرية، لما لها من صلة قوية بالتقليد والاحتذاء، والتطور والتجديد.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

[1]- الأدب العربي وتاريخه، محمد عبدالمنعم خفاجة، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1990م، ص84.

[2]- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ت: محمود شاكر، دار المدني، جدة، د.ط، د.ت، 5/1.

[3]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط.5، 1981م، 119/1.

[4]- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، ت: عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1982م، ص10.

[5]- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ت: السيد محمد رضا، دار المعرفة، مصر، د.ط، د.ت، ص266.

[6]- المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، ت: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، د.ط، د.ت، 52/2.

[7]- مفاهيم نقدية، رينيه ويليك، ترجمة: محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1978م، ص408.

[8]- المرجع نفسه، ص416.

[9]- العمدة، ابن رشيق، 117/1.

[10]- وفيات الأعيان، ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، د.ت، 367/1.

[11]- ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص90.

[12]- ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار صادر، بيروت، ط3، 2003م، ص293.

[13]- سجيس الليالي: آخرها، مادة "س ج س".

[14]- ينظر: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، دار مارون عبود، د.ط، 1979م، ص308.
[15]- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص293.
[16]- ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، الدار العربية للكتاب، بيروت، ط3، 1983م، 459/2.
[17]- الشعراء نقادًا دراسات في الأدب الإسلامي والأموي، عبدالجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافية، القاهرة، ط2، 1986م، ص164.
[18]- ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، د.ت، 379/4.
[19]- ديوان الأحوص، ت: محمد طريفي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2001م، ص216.
[20]- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص19.
[21]- ينظر: الموشح، المرزباني، ت: علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص294.
[22]- ينظر: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1978م، 557/1.
[23]- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ت: عبدالكريم إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب، د.ط، 1992، 294/8.
[24]- ينظر: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، ص334.
[25]- ديوان الفرزدق، ت: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ص495.
[26]- الحيوان، عمرو بن الجاحظ، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1996م، 161/5.
[27]- ديوان كثّير، ت: عدنان درويش، دار صادر بيروت، ط1، 1994م، ص205.
[28]- ديوان الأخطل، ت: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م، ص28.
[29]- الأغاني، 288/8.
[30]- ديوان عدي بن الرقاع، جمعه وشرحه: حسن نورالدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م، ص38.
[31]- المرجع نفسه، ص38.
[32]- المرجع نفسه، ص37.
[33]- ينظر: الأغاني، 317/9.
[34]- ديوان جميل، دار صادر، بيروت، ط2، 2005م، ص139.
[35]- ديوان جميل، ص 135.
[36]- ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص78.
[37]- ديوان الأحوص، ت: محمد طريفي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2001م، ص157.
[38]- ينظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط2، 1991م، ص245.
[39]- العمدة، ابن رشيق، 95/1.
[40]- الأغاني، 5/8.
[41]- تاريخ الادب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط16، د.ت، ص289.
[42]- ديوان جرير، دار صادر، بيروت، ط2، 2005م، ص216.

[43]- ينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه، ت: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ط1، 2001م.
[44]- ديوان الكميت، ت: محمد طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م، ص212.
[45]- ينظر: الادب العربي وتاريخه، محمد عبدالنعم خفاجة، ص192.
[46]- ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، د.ط، 2003م، ص78.
[47]- الأغاني، الأصفهاني، 393/4.
[48]- عمر بن لجأ "وقيل لحأ" بن حيدر بن مصادر التميمي، من بني تميم بن عبد مناة، من شعراء العصر الأموي، اشتهر بما كان بينه وبين جرير من مفاخرات ومعارضات، توفي سنة 105ه، ينظر الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1990م، 59/5.
[49]- الأغاني، الأصفهاني، 70/8.
[50]- ديوان ذي الرمة، ت: عبدالقدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط2، 1982م، ص142.
[51]- الأغاني، الأصفهاني، 14/18.
[52]- ينظر: الأمالي، أبو علي القالي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، 179/2.
[53]- الأغاني، الأصفهاني، 9/18.
[54]- خزانة الأدب، البغدادي، ت: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1989م، 108/1.
[55]- ديوان ذي الرمة، 9/1.
[56]- ديوان الكميت، ص36.
[57]- الموشح، المرزباني، ت: علي البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص252.
[58]- ديوان عبيد بن الابرص، دار صادر، بيروت، د.ط، 1998م، ص53.
[59]- ديوان امرئ القيس، ص105.
[60]- ينظر: حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، ط13، 1985، 5/2.
[61]- ينظر: ابن قتيبة ومقاييسه البلاغية والأدبية والنقدية، محمد الجربي، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ط1، 1984، ص25.
[62]- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، ت: محمد إبراهيم وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص50.
[63]- العمدة، ابن رشيق، 91/1.
[64]- النقد الأدبي عند العرب، طه إبراهيم، ص99.
[65]- العمدة، ابن رشيق، 92/1.
[66]- المرجع نفسه، 238/2.
[67]- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص10/1.
[68]- الحيوان، الجاحظ، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1996م، 130/3.
[69]- ديوان امرئ القيس، ص145.
[70]- ديوان بشار بن برد،ص84.
[71]- ديوان ذي الرمة،108/2.
[72]- ديوان امرئ القيس، ص48.
[73]- ديوان الاخطل، ص237.
[74]- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص64.
[75]- ديوان الأخطل، ص232.

[76]- الأغاني، الأصفهاني، 285/8.
[77]- الحيوان، الجاحظ، 311/3.
[78]- ديوان جرير، ص59.
[79]- ديوان الفرزدق، ص 494.
[80]- الوساطة، الجرجاني، ص183.
[81]- عيار الشعر، ابن طباطبا، ص113.
[82]- العمدة، ابن رشيق، 281/2.
[83]- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمد العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1979م، ص377.
[84]- ديوان الفرزدق، ص362.
[85]- ديوان جرير، ص293.
[86]- ديوان ذي الرمة، 264/2.
[87]- العمدة، ابن رشيق، 285/2.
[88]- السرقات الأدبية، بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1969م، ص57.
[89]- ديوان ذي الرمة، 371/2.
[90]- المرجع نفسه، 377/2.
[91]- ينظر قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، د.ط، 1971م، ص171.
[92]- الحيوان، الجاحظ، 131/3.
[93]- العمدة، ابن رشيق، 124/1.
[94]- البيان والتبيين، الجاحظ، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، 144/1.
[95]- ينظر: حديث الأربعاء، طه حسين، 14/2.
[96]- الأحوص حياته وشعره، محمد سعيد، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، 1981م، ص309.
[97]- ديوان الأحوص، ص295.
[98]- النقد المنهجي عند العرب، محمد منذور، دار نهضة مصر، د.ط، 2007م، ص262.
[99]- ديوان الفرزدق، ص323.
[100]- الموشح، المرزباني، ص137.
[101]- ديوان بشار بن برد، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص65.
[102]- قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، ص197.